المحاضرة الأولى

أساسيات التعليم الجيد في مرحلة الطفولة المبكرة
ماهو التعليم الجيد للأطفال الصغار
ماهو التعليم الجيد للأطفال؟
يجب أن تشعر أنك جزء هام من مهنة نبيلة

يمر الأطفال منذ الولادة و حتى سن الثامنة بمراحل نمو تكتمل بشكل سريع ومذهل. ويمتلك الأطفال شخصيات قوية وحماساً غنياً وقدراً كبيراً من الطاقة البدنية والإرادة قوية. و لا تتكرر في حياة الإنسان مثل هذه المرحلة حيث يتم فيها تعلم الكثير في فترة وجيزة جداً.

يمثل النشاط الاستثنائي والنمو المتزايد للأطفال تحديا للمعلم المبتدئ ويولد لديه شعورا بالبهجة و الخوف بآن معاً وهذا التحدي يُعتبر مهمةً كبيرةً بالنسبة للمعلم حيث يجب عليه بناء مناخ تعليمي يعزز نمو الأطفال ويثير شهيتهم لمزيد من التعلم. كذلك فإن البيئة المحيطة يجب أن تعزز وتحافظ على صحة الطفل العاطفية وأن تعمل على تحسين النمو البدني والقوة العضلية وتعزيز التفاعلات الاجتماعية الجيدة وقدرة الطفل على الإبداع بالإضافة الى تنمية مهارات الطفل وقدراته العقلية. علاوة على ذلك ، فإن جميع ما ذكرناه يجب أن يكون هالة من السعادة والحنان لتعزيز شعور الطفل بالرفاهية الذي يعتبر أساس عملية التعلم الناجح. وبالنظر إلى هذه المهمة الكبيرة فإننا لا نستغرب أن يتساءل المعلم المبتدئ بشكل يائس إلى حد ما عن مسألة من أين يبدأ؟ وماذا سيفعل؟

فريدريك فروبل:

تعود جذور بدايات التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة في الولايات المتحدة إلى فلسفة العالم فريدريك فروبيل الذي أسس أول روضة أطفال ألمانية في عام 1840. اعتمدت رياض الأطفال التي أسسها فروبيل على تمكين الأطفال من القيام بالأنشطة التي يختارونها وتوفير الفرص لهم للإبداع والمشاركة الاجتماعية و التعبير الحركي في بيئة ودية ومحفزة من صنع المعلم.

كان الأطفال الأمريكين في أواخر القرن التاسع عشر غالبًا يبدؤون العمل في سن العاشرة بعد إتمام ثلاث سنوات في المدرسة. وفي مدينة سانت لويس ،كرست المربية سوزان بلو حياتها لتعليم الأطفال الصغار وافتتحت أول روضة أطفال حكومية قائمة على نظريات العالم فروبيل في عام 1873 من أجل تحسين حياة الأطفال.

وتعود جذور العديد من أفضل الممارسات في التعليم المبكر في الوقت الحاضر إلى تلك الرياض حيث كان يُنظر إلى اللعب كوسيلة أساسية لتعلم الأطفال و إلى تقدم الأطفال من خلال عدة مراحل نمائية وكان المعلم يهيئ البيئة ويحفز الأنشطة لتعزيز التعلم. إن قيام المعلمين في الوقت الحاضر بتشجيع الأطفال على غناء الأغاني والبناء باستخدام الكتل والتعبير عن أنفسهم من خلال الأنشطة الإبداعية والمشاركة في "اللعب الحر" ، إنما هو ناتج عن الفلسفة التعليمية والأساليب التي طورها العالم فروبيل Froebel قبل أكثر من قرنين

المدافعون عن الأطفال في القرن العشرين :

بدأ الاهتمام بدراسة الأطفال و إدراك أهمية تعليم أولياء الأمور على ممارسات تربية الأطفال المتكاملة في بداية القرن العشرين. وقد صاحب هذا الاهتمام المتزايد بنمو الطفل الاهتمام بتعليم الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة إضافة إلى الإهتمام برعاية الأطفال . بدأ هذا الإهتمام خارج البلاد حيث اعتبر القادة مثل ماريا مونتيسوري Maria Montessori والأخوات ماكميلان The MacMillan Sisters من الرائدات في رعاية الأطفال كوسيلة لتحسين رفاهية أطفال الفقراء.

ماريا منتسوري

أسست ماريا مونتيسوري - وهي طبيبة إصلاحية شابة متحمسة- مركزاً لرعاية الطفل Casa dei Bambini (دار رعاية الأطفال) في عام 1907. وقد تأسس هذا المركز في الأصل كجزء من تجديد مساكن الأحياء الفقيرة في أحد الأحياء الفقيرة في مدينة روما .

وجد أنصار هذا المشروع الإسكاني التعاوني أن الأطفال الصغار- الذين يُتركون دون رعاية أثناء ذهاب ذويهم للعمل - يواجهون مشاكل مما يؤدي الى تدمير الخصائص التي يعمل المجتمع جاهداً على المحافظة عليها . لذلك ، فكروا في إيجاد طريقة ما لرعاية الأطفال. و بأشراف من ماريا مونتيسوري ، كانت دور رعاية الأطفال تؤكد على المحافظة على صحة الأطفال والنظافة والتدريب الحسي والتعلم الفردي والاستفادة الفعلية من المواد.

و نظرًا لإعتقاد مونتيسوري بأن التعلم الذاتي الفردي يأتي قبل أن تحدث التعلم أنواع التعلم الأخرى ، فقد ركزت على المواد المصممة خصيصًا للتصحيح الذاتي التي يمكن للطفل أن يستخدمها الطفل بمفرده. ولم يتم اعتبار التجربة اللغوية واستخدام الخيال واللعب الدرامي أمور ذات أهمية كبيرة آنذاك .

https://www.youtube.com/watch?v=UzmvtVAuuyI

الأخوات ماكميلان

أدركت الأخوات ماك ميلان أحوال الأطفال السيئة جدا في الأحياء الفقيرة بانجلترا . في عام 1911 ، قامت الأخوات مارغريت و ريتشيل ماك ميلان ، بتأسيس مدرسة حضانة في الهواء الطلق. كانت الأخوات ماكميلان من المناصرات للاشتراكية والحركة النسائية. و إنطلاقا من تلك المخاوف ، تعرفت الأختان على حالة الفقراء في مدينة لندن. وقد راعهم رؤية العديد من الأطفال الذين يركضون وهم حفاة الأحياء الفقيرة في لندن ويعانون من داء الجرب و القمل وسوء التغذية. وكما هو الحال في دور رعاية الأطفال ، شددت مدرستهم على توفير الصحة الجيدة للأطفال و توفير الغذاء والرعاية الطبية الكافية.

وخلافاً لدور رعاية الأطفال ، فقد أكدت مدرستهن على أهمية اللعب في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس واللعب بالرمل و الإستحمام بشكل منتظم. وقد أيدت الأختين ماك ميلان تعليم الأطفال معًا في مجموعات صغيرة وشددتا على بناء الاستقلالية واحترام الذات. كذلك فقد كن يعتقدن أن الفتيات الصغيرات لديهن مواهب طبيعية للعمل مع الأطفال وعليه فقد كن يدفعن لهن أجرة التدريب خلال العمل مع الأطفال

https://www.youtube.com/watch?v=F5V8V7NjTTc

جون ديوي

كذلك شهد تعليم مرحلة الطفولة في الولايات المتحدة اهتماما عالياً في أوائل القرن العشرين. نشأت حركة التعليم التقدمي أو التدريجي - التي كانت وما زالت أحدى أكثر الحركات نفوذاً في مجال تعليم مرحلة الطفولة المبكرة - في كلية المختبرات بجامعة شيكاغو تحت إشراف جون ديوي في بداية القرن العشرين. ساد التعليم التقدمي أو التدريجي في المدارس الابتدائية ، ومع ذلك فقد نشأت العديد من الممارسات المستخدمة حاليًا في البرامج التمهيدية عن فلسفة ديوي - التي كانت تعتبر جذرية آنذاك - عن "التعليم المتمحور حول الطفل".

كان ديوي يؤمن بأن التعليم يجب أن ينبع من اهتمامات الطفل وتجاربه الحقيقية في العالم ، وأن التعليم يجب أن يساعد الطفل على التفكير بشكل نقدي وأن يلبي جميع احتياجات الطفل الجسدية والاجتماعية والعاطفية والفكرية ليصبح مواطن صالح وعضو فعال في المجتمع الديمقراطي) .

و يمكن رؤية تأثير أفكار ديوي في مجال التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة في الأهداف المماثلة التي تم تبنيها في الممارسات الملائمة نمائياً (DAP) التي ستتم مناقشتها لاحقًا في هذا الفصل من الكتاب.

دور الحضانة وتطور مهنة تدريس الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة:

ايضا دور الحضانة كان لها أثر كبير في تقدم وتطور مهنة تدريس الأطفال في مرحلة في الطفولة المبكرة حيث بدأت تعليم الأطفال في مرحلة "الحضانة" بالازدهار في أوائل عشرينيات القرن العشرين حيث قامت مجموعة من النساء في جامعة شيكاغو بإنشاء أول مدرسة حضانة تعاونية بالتعاون مع أولياء الأمور في عام 1916.

وفي العام 1919 ، افتتحت هاريت جونسون مدرسة المدينة والمقاطعة (The City and County School) والتي تحولت لاحقًا إلى كلية بانك ستريت للتعليم وهي (أحد أكثر مرافق تعليم المعلمين المشهورة في عصرنا الحالي ومدرسة الأطفال التابعة لها) في مدينة نيويورك.

كما أسست أبيجيل إليوت مدرسة حضانة شارع روجلز في مدينة بوسطن في عام 1921 وهو نفس العام الذي أسست فيه باتي سميث هيل مدرسة حضانة مختبرية في كلية كولومبيا للمعلمين (وهي أعرق وأكبر كلية للدراسات العليا للتربية في الولايات المتحدة اليوم).

https://www.youtube.com/watch?v=NWpRGxMAKEQ

رابطة الوطنية لتعليم الصغار (NAEYC):

في عام 1925 ،دعت باتي سميث (1942/1992) إلى اجتماع للقادة الأوائل في هذا المجال لمناقشة القضايا التي تهم الأطفال الصغار وفي عام 1929 تأسست الرابطة الوطنية لتعليم أطفال الحضانة واستمرت هذه الرابطة الى وقتنا الحالي وتعرف حالياً باسم الرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار (NAEYC).

توسعت هذه الرابطة لتضم أكثر من 100000 عضو و أصبحت تعقد مؤتمرا سنويا يحضره 24000 شخص (NAEYC 2010 ،). ومنذ أكثر من 25 عامًا ، قامت الرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار بتطوير نظام اعتماد مصمم لضمان معايير الجودة العالية في برامج تعليم مرحلة الطفولة المبكرة.

وصل عدد المراكز الأولية التي تم اعتمادها من قبل الرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار أكثر من 7000 مركز في العام 2010. وتعمل الرابطة على توفير المصادر العلمية والندوات حول التطوير المهني بالإضافة إلى تعزيز الفلسفة التعليمية للممارسة الملائمة نمائياً ، كما وتنشر الكتب والمجلات و تعتبر داعية رئيسي لقضايا السياسة العامة التي تؤثر على الأطفال والعائلات.

هل يمكن للتعليم المبكر أن يحدث فرقا؟

سعت الأبحاث العلمية التي جرت على مدى عدة عقود حول موضوع التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة إلى دراسة آثار البرامج المختلفة على نمو الأطفال الصغار.وتنوعت نتائج تلك الأبحاث بين محبطة أحياناً و مشجعة في أحيانٍ أخرى. بالإضافة إلى ذلك ومنذ التسعينيات ، توصل العلماء الذين يحققون في نمو العقل إلى عدد من النتائج التي تدعم أهمية التعليم الجيد في مرحلة الطفولة المبكرة

ومن الأهمية بمكان معرفة ما توصل إليه الباحثون من نتائج هذه الدراسات لأن معظم أفراد المجتمع بما في ذلك الآباء والمشرعين ما زالوا غير مدركين لأهمية التعليم المبكر ويصرون على اعتبارها "مجرد مجالسة أطفال". وحيث أننا سئمنا من هذه الفكرة المضللة وعليه فإننا نحتاج للاستفادة من نتائج هذه الدراسات جعلها على رأس لساننا حتى نتمكن من شرح قيمة عملنا مع الأطفال الصغار لمن يجهلون ذلك.

الأبحاث العلمية حول نمو العقل

بحثت الدراسات الحديثة في أدمغة الأطفال الصغار والرضع وحتى في أدمغة الأجنة وتم الحصول على كمٍ هائلٍ من البيانات العلمية العصبية التي تظهر كيفية تطور دماغ الطفل.

كما قدمت الأبحاث العلمية الحديثة حول العقل البشري لمعلمي الطفولة المبكرة فهمًا أعمق حول عمليتي التعليم والتعلم. وقد توصل العلماء الى عدد من النتائج ذات الصلة بالنسبة لأولئك الذين يعملون مع الأطفال الرضع والأطفال الصغار:

- يتطور عقل الأطفال الرضع والأطفال الصغار بوتيرة مذهلة ويكون العقل البشري في أوج نشاطه خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل.
- تؤثر التجارب المبكرة على التركيب الفعلي للعقل.

- تؤثر التجارب المبكرة تأثيراً حاسماً على سلوك الشخص عند البلوغ.
- توجد أوقات مثلى ، لا سيما في السنوات الأولى ، لاكتساب المعرفة والمهارات على مختلف أنواعها.
- تعزز التجارب الإيجابية في السنوات الأولى من الحياة نمو العقل ، في حين أن التجارب السلبية - مثل سوء المعاملة أو إكتئاب الأم - يمكن أن تعيق عملية النمو.
- تعتبر الرعاية الحنونة والمستجيبة أثناء مرحلة الطفولة أمر بالغ الأهمية للنمو الصحي

و فيما يلي طرق قيام المعلمين بوضع نتائج الأبحاث العلمية حول نمو العقل) موضع التنفيذ.

تشير الأبحاث الحديثة حول نمو العقل إلى أنه يمكن للمدرسين تعزيز النمو الأمثل لعقول الأطفال عن طريق القيام بما يلي:

- إنشاء علاقة دافئة وحنونة مع جميع الأطفال. دع الأطفال يعرفون أنك تقدرهم كأفراد ، وتقدر خصائصهم الفريدة و مهاراتهم واهتماماتهم وأفكارهم ومشاعرهم. دع كل طفل يعرف مدى تميزه بالنسبة لك.

- تأكد من شعور جميع الأطفال بالأمان وأنهم يتمتعون بصحة و تغذية جيدتين وأنهم يمتلكون فرصاً كبيرة لممارسة الرياضة البدنية.

- يجب أن تكون على دراية بخطوات التدخل المبكر التي يجب اتخاذها عند الضرورة. قم بإحالة الأطفال المعرضين للخطر إلى المتخصصين في أقرب وقت ممكن. افهم مسؤوليتك المهنية عندما يُطلب منك التدخل.

- لا تحاول أبدًا تسريع عملية النمو و إنما حاول تعزيزه بالأنشطة المحفزة و الملائمة نمائياً التي تجعل الطفل متفاعلاً ومتواصلاً مع الآخرين.

- احترم سرعة و وأسلوب نمو كل طفل.

- التواصل مع الأسر حول نمو أطفالهم. شارك معرفتك حول أبحاث الدماغ ، على سبيل المثال ، التأثير السلبي على النمو عندما يقضي الطفل وقتاً طويلاً أمام شاشة التلفزيون أو الكمبيوتر.

- ضع روتيناً يومياً يمكن التنبؤ به وكن ثابتا على مبدئك واجعل الأطفال يعرفون أنه يمكنهم الاعتماد عليك.
- قم بتشجيع الأطفال على الاستكشاف واللعب والتعبير الإبداعي.
- علم الأطفال لمهارات اللغوية وأظهر لهم مدى تقديرك للمفردات التي يستخدمونها أثناء المحادثة والكتب والاغاني ورواية القصص. عود نفسك على طرح الأسئلة المفتوحة التي تتطلب أكثر من الإجابة البسيطة بكلمة نعم أو لا.
- اسمح للأطفال باستخدام جميع حواسهم أثناء الإستكشاف وليس مجرد استخدام حاستي الرؤية والسمع فالأطفال بحاجة إلى لمس الأشياء والتعامل معها وشمها و تذوقها والتمييز بين الأصوات المختلفة وما إلى ذلك.
- شجع الأطفال على اللعب والاستكشاف الذاتي. إدعم فضول الأطفال الطبيعي حول أنفسهم وحول الآخرين وحول العالم بأسره فإنك تساعدهم على تنمية حبهم للمدرسة من خلال مشاركتهم في شعور التعجب و الإثارة.

تأثيرات التعليم في مرحلة الطفولة

مشروع بيري للتعليم في مرحلة ما قبل المدرسة:

قد تكون الدراسة العلمية عن الأطفال التي بدأت في مشروع بيري للتعليم في مرحلة ما قبل المدرسة هي أهم الراسات الطويلة الأمد حول آثار التعليم المبكر على نمو الأطفال. لقد بدأت تلك الدراسة في عام 1962 ولا تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر وبقيت البيانات ثابتة على مدى أكثر من خمسة عقود من البحث العلمي.

وجد الباحثون اختلافات جوهرية بين المجموعة التجريبية – التي تلقت فوائد البرنامج الجيد لمرحلة ما قبل المدرسة (مشروع بيري للتعليم في مرحلة ما قبل المدرسة) - ومجموعة مماثلة -لم تتلق تلك التجارب عند بلوغهم سن الرشد. كان جميع الأطفال الذين شملتهم الدراسة يعيشون مع أسر فقيرة وكانوا معرضين لخطر العجز في القدرات والتعرض لعدد من المشكلات أثناء دراستهم ومشاكل مدى الحياة. قلة من الأطفال الذين درسوا في مشروع بيري للتعليم في مرحلة ما قبل المدرسة تعرضوا لمشاكل قانونية وتخرج العديد منهم من المدرسة الثانوية وكان الكثير منهم يعملون بعد التخرج.

https://highscope.org/perry-preschool-project/

كما تشير أحدث الإحصائيات إلى أن هذا الاتجاه نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي كان مستمرًا مع أفراد المجموعة التجريبية حتى بلوغهم سن الأربعين ولوحظ قلة تعرضهم للإعتقالات وزيادة في مداخيلهم الشهرية بشكل ملحوظ وامتلاك عدد كبير منهم للمنازل بشكل أكبر مقارنة بأفراد مجموعة المراقبة .

كان معدل العائد مقابل كل دولار تم استثماره أصلاً في برنامج مرحلة ما قبل المدرسة 7 ٪ إلى 10 ٪. يشير هيكمان (Heckman 2011) إلى أن معدل العائد هذا أعلى من العائد في سوق الأوراق المالية وخلُص الى أن "العائد المرتفع يدل على أن المجتمع يمكن أن يستفيد بشكل كبير من التدخل المبكر في مرحلة الطفولة المبكرة"

•

تقودنا الأبحاث العلمية حول مشروع بيري للتعليم في مرحلة ما قبل المدرسة والأبحاث حول نمو العقل إلى استنتاج مهم ألا وهو : هناك آثار ايجابية طويلة الأمد لعملية التعليم المبكر الجيدة على الأطفال وعلى المجتمع ككل. و يستخدم معلمي الأطفال الصغار قوتهم ببراعة في هذا المجال وتكون تلك القوة مصحوبة بالشعور بالمسؤولية عن توفير أفضل رعاية وتعليم ممكنين للأطفال الرضع والأطفال الصغار تحت عنايتهم .

إن أول خطوة للمعلم المبتدئ هي فهم الأسس النظرية التي تقوم عليها عملية التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة. و بصفتنا مدرسين ، فإننا نقوم بعدة اختيارات نظرية طوال اليوم - سواء كنا على علمٍ بها أم لا. تشمل هذه الخيارات كل شيء بدءًا من كيفية تنظيم اليوم إلى أنواع الأسئلة التي نطرحها على الأطفال وصولا إلى الخبرات والمواد التي نقدمها لهم . و كلما زادت معرفتنا بخياراتنا ، كلما كان تأثيرنا إيجابيًا على الأطفال.

الأسس النظرية لعملية التعلم في رياض الأطفال

يمتلك المعلمين (وأولياء الأمور) أفكارهم الخاصة حول ما هو مناسب للأطفال وجميعهم لديهم معتقداتهم الخاصة حول الطريقة التي يجب أن يتصرف بها الأطفال و مسار نموهم والتجارب المناسبة بالنسبة لأعمارهم. ينبع هذا الفهم لمرحلة الطفولة - في أغلب الأحيان - من تربية المرء ولا يتم عكسه بطريقة واعية. و سيكون من الحكمة أن تفكر – بصفتك مدرس مبتدئ - في مرحلة طفولتك وتوقعاتك بالنسبة للأطفال قبل دخولك للفصل.

ويجب أن توجه نظريات النمو وطرق التدريس - التي جُربت واختُبرت على مدى عدة عقود وربما عدة قرون - ممارسات التدريس وأن تفيدها. ويمكن للمعلمين - من خلال دراسة النظريات و "أفضل الممارسات" المنبثقة عنها الناحية النظرية - أن يقوموا بتقديم التعليم المبكر الأكثر فائدة للأطفال.

لقد تناولت العديد من الأبحاث موضوع النمو النمطي للأطفال ووصفت مساره الطبيعي من خلال الرسوم البيانية للمعايير النمائية (انظر الملحق أ).

أدت هذه القاعدة المعرفية إلى انبثاق حركة داخل مجال التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة وسميت هذه الحركة باسم الممارسة الملائمة نمائياً (DAP). اتخذ هذا السياق منحىً نمائيا و بات ينظر إلى الطفل على أنه "ذاتٌ شموليةٌ" ولكن هذه الذات الشمولية تتألف من عدد من الذوات النامية: الذات الجسدية والذات العاطفية والذات الاجتماعية والذات المعرفية والذات الإبداعية. و من المهم أن يفهم المعلمين كيف يحدث كل جانب أو مجال من مجالات النمو وكيف يؤثر كل مجال على الجوانب الأخرى ويتأثر بها.

يقصد بعبارة الملائمة نمائياً أن أنشطة التعلم المخططة للأطفال قد تم وضعها في المستوى الصحيح لمرحلة نمو الأطفال وهي ملائمة لأذواق الأطفال الفردية وقدراتهم وثقافاتهم. و من خلال اتباع دليل الممارسة الملائمة نمائياً - التي وضعتها الرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار NAEYC- فإن المعلمون لايستخدمون المخططات النمائية لمحاولة تسريع عملية النمو و إنما يستخدمونها للحصول على الفهم والتخطيط الأفضل لكل طفل(كوبيل وبريدي كامب،2009 و الرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار

وتعتبر هذه الممارسة هامة بشكل خاص للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ، الذين سيستفيدون من البيئة الداعمة التي تمكنهم من الاستفادة من نقاط قوتهم بدلاً من تلك البيئة التي تركز على تأخيرهم مقارنةً بالقاعدة

تعتمد الممارسات النمائية على ثلاث اعتبارات رئيسية:

الشكل 1-2 : الاعتبارات الأساسية الثلاثة للممارسة الملائمة نمائياً

- **الإلمام بنمو الطفل والتعلم:**

تبر معرفة أنماط النمو في كل مرحلة من مراحل النمو المبكر أمر بالغ الأهمية في مساعدتك على تحديد التجارب المناسبة لنمو الأطفال. وتشير الأبحاث العلمية إلى إن أهمية هذه المعرفة في جميع جوانب تخطيط المناهج وممارسات التدريس.

- **الإلمام بما هو ملائم لكل طفل بشكل فردي:**

وم المعلمون الذين يستخدمون الممارسات الملائمة نمائياً المناسبون ملاحظة تفاعلات كل طفل مع الآخرين والبيئة باستمرار. من المهم معرفة اهتمامات كل طفل وقدراته وتقدمه النمائي.

- **الإلمام بالقضايا الهامة من الناحية الثقافية:**

وم الاسر بتربية الأطفال وتشكيل طريقة حياتهم وعلى المعلمون الذين يستخدمون الممارسات الملائمة نمائياً احترام و تقدير أسر الأطفال وبذل قصارى جهدهم للتعرف على أسر الأطفال وعلى قيمهم وخلفياتهم الثقافية وطرق تفاعلهم مع طفلهم ومع الآخرين والأمور التي يتوقعونها من الطفل ومن المدرسة. ويمكن للمعلمين تقديم أفضل التجارب للأطفال من خلال التعرف على أسرهم والإلمام بثقافتهم .

النظرية التحليلية(سيجموند فرويد)

تعتبر نظرية العالم فرويد حول تطور الشخصية من النظريات الأكثر تأثيراً في مجال نمو الطفل. بدأ العالم سيغموند فرويد في أواخر القرن التاسع عشر البحث في العقل البشري

ورغم أنه تدرب ليكون طبيباً ،إلا أنه كان مهتماً بدراسة تجارب الطفولة المبكرة وكيف تؤدي تلك التجارب إلى مشاكل عقلية في مرحلة البلوغ.

قدم فرويد علاجًا للمرضى يقوم على السماح لهم بالحديث بإسهاب عن تجاربهم السابقة وقد عرفت هذه التقنية باسم **التحليل النفسي**.

و بحسب نظرية فرويد تعتبر ممارسات تربية الأطفال المستخدمة في الطفولة المبكرة أمراً بالغ الأهمية و وتلعب دوراً كبيراً في تحديد النمو

وضع فرويد عدة مراحل للنمو يمر من خلالها جميع البشر. تتعلق كل مرحلة من مراحل النمو النفسي الجنسي بالمصدر الرئيسي للمتعة الجسدية فمثلا، يسعى الرضيع للوصول إلى الاستمتاع و اللذة عن طريق الفم في حين يشعر الأطفال الصغار بلذة بيولوجية عند التبول و التبرُز من فتحة الشرج (ضع في اعتبارك أن هذا هو الوقت الذي يحدث فيه عادة التدريب على استخدام المرحاض). كذلك فإن المربين في مرحلة الطفولة المبكرة يتعاملون مع الأطفال اثناء مرورهم بالمرحلة القضيبية أو

المرحلة التناسلية المبكرة (من عمر ثلاثة إلى ستة سنوات) حيث يركز الأكفال جداً على الأعضاء التناسلية الخاصة بهم (وبغيرهم)

مراحل النمو لدى فرويد:

1- المرحلة الفمية Oral Stage

تحدث هذه المرحلة في السنة الأولى من عمر الطفل ويحدث الإشباع من استثارة الشفاه واللسان والفم ويحدث سلوك الرضاعة كمصدر منظم للإشباع في هذا العمر وإذا لم يتم الإشباع الفمي في تلك المرحلة فقد يلجأ الطفل إلى مص الأصابع أو قضم الأظافر في مراحل لاحقة.

2- المرحلة الشرجية Anal Stage

وتكون خلال العامين الثاني والثالث من عمر الطفل ويتركز مصدر اللذة في المنطقة الشرجية ، ويحصل الطفل على لذة وراحة من عملية الإخراج، فيتعلم الطفل التحكم في البيئة بصورة ناجحة أثناء هذه الفترة إذا أعطيت له التدعيمات المناسبة من الآباء أو المربين.

Phallic Stage-3 المرحلة القضيبية

•تغطي هذه المرحلة الفترة الزمنية بين ثلاث إلى ست سنوات من عمر الطفل ، ويتركز مصدر اللذة في المنطقة القضيبية ، ويلعب الطفل بأعضائه التناسلية ويشعر باللذة ثم تبدأ ظهور عقدة أوديب لدى الذكور فيكون الطفل مفتوناً بأمه فيجتهد ليكون مثل أبيه في صفاته فيتكون لديه الأنا الأعلى، وعقدة إلكترا عند الإناث وتكون فيه الإناث منجذبة ناحية الأب فتتبنى القيم والمثل التي تحترمها الأم فيتطور عندها الأنا الأعلى.

•

4- مرحلة الكمون Latency Stage

•تكون هذه المرحلة من العام السادس حتى البلوغ ويتحول مصدر اللذة من الذات إلى الأفراد الآخرين وتكوين صداقات ، والتفاعل الاجتماعي مع رفاق السن وتحل عقدة أوديب وعقدة الكترا، حين يتوحد الطفل مع الوالد من نفس الجنس ، وقد يصف البعض هذه المرحلة بأنها مرحلة الهدوء الذي يسبق العاصفة.

Genital Stage-5 المرحلة التناسلية

•هي فترة العنف والعواصف بحلول المراهقة ، وفيها ينهي الفرد ارتباطه بوالديه والبدء في تكوين حياته الخاصة، ويرى فرويد أن التغيرات التي تحدث في فترة المراهقة لا تحدث عند الجنسين بالطريقة ذاتها باعتبار أن الهدف الجنسي الجديد يعطي كلا من الجنسين وظائف مختلفة ، وإذا كان التطور ناجحاً في هذه المرحلة وغيرها من المراحل السابقة فإنه يقود إلى الزواج والنضج الجنسي وإنجاب الأطفال وتربيتهم.

•وقد أكد فرويد على أن الإشباع أو الحرمان الزائد الذي يحصل عليه الفرد في أي مرحلة يؤدي إلى تثبيت الأطفال في هذه المرحلة، ولذا فإن تطورهم الجنسي لا يكتمل

وبرغم تعرض نظرية فرويد للنقد باعتبارها قديمة أو متحيزة جنسياً إلا أنها ساهمت بشكل كبير في فهمنا لدوافع ولسلوك الأطفال. إن إلمام المعلمين بنظرية فرويد قد يساعدهم على فهم الملاءمة النمائية عند قيام طفل يبلغ من العمر عامين بالاستحواذ على لعبة ما (وهو مثال على ما أطلق عليه فرويد "id" أو الدافع الأساسي للإرضاء الذاتي عند الطفل) أو عند

افتتان الأطفال بعمر الأربع سنوات بأعضائهم التناسلية . كذلك فقد نشأ العديد من النظريات الأخرى المتعلقة بمرحلة الطفولة المبكرة من قاعدة نظرية فرويد.

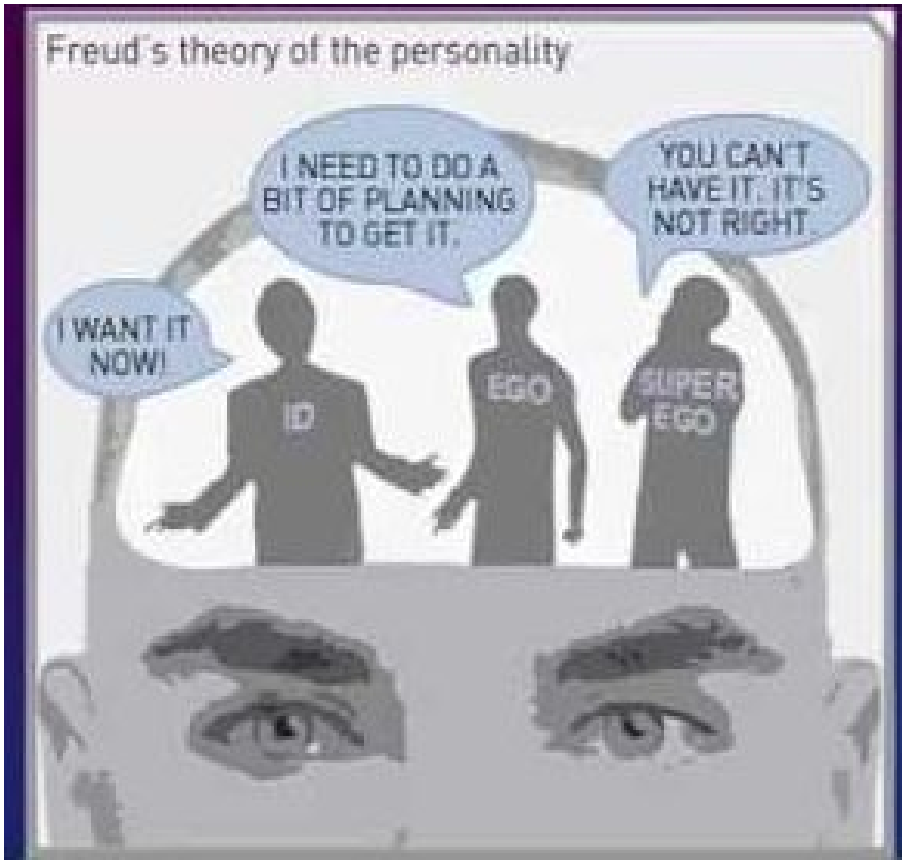

إريك اريكسون:

قام إريك إريكسون و هو محلل نفسي تدرب على يد فرويد بتطوير إحدى النظريات المهمة في مرحلة الطفولة المبكرة.

و تعتمد العديد من برامج الطفولة المبكرة- في جزء منها - على نظرية إريكسون للنمو النفسي والاجتماعي في وقتنا الحاضر وكما هو الحال عند فرويد ،فقد اعتقد إريكسون أن الأطفال يمرون بمراحل نمو متعددة ولكنه رأى أن هذه المراحل تكون مدفوعة بدوافع اجتماعية أكثر من الدوافع الجنسية. وتتبع **مراحل النمو الثمانية في نظرية اريكسون للنمو النفسي** تطور شخصية الطفل خلال فترة الحياة.

وتحظى المراحل الأربع الأولى لنظرية إريكسون بأهمية خاصة عند معلمي مرحلة الطفولة المبكرة. ففي المرحلة التي يتحدث فيها عن الثقة مقابل عدم الثقة (من سن الولادة إلى سنة او سنة ونصف تقريباً) يتعلم الطفل ما إذا كان يمكنه الوثوق بما حوله. ولكي نحصل على نمو صحي سليم فإنه من الضروري بناء رابطة أو ارتباط عميق و حميم بين الرضيع والشخص الذي يقدم الرعاية له خلال هذه المرحلة.

-

خلال مرحلة الاستقلالية مقابل الشعور بالخجل والشك (من عمر سنة او سنة ونصف إلى عمر الثلاث سنوات تقريباً) ، ينمو لدى الطفل الشعور بذاته وإذا تم قمع استقلالية الطفل فإنه يبدأ في الشك والشعور بالخجل ويعبر الطفل البالغ من العمر عامين والذي يرفض ارتداء سترة أو الذي يجيب على كل سؤال تقريبًا بكلمة "لا!" عن حاجة صحية الاستقلالية .

أما في مرحلة المبادرة مقابل الشعور بالذنب (من 3 إلى 6 سنوات) فإنه يتطور لدى الأطفال الإحساس بالقدرة عندما يستخدمون مبادراتهم لتجربة أشياء جديدة وتجربة نجاح أفكارهم. وإذا قوبل الطفل بالرفض والفشل ، فقد يتطور لديه شعور دائم بالذنب.

المرحلة الرابعة هي مرحلة الكفاية مقابل الشعور بالنقص و هي تحدث بشكل عام في مرحلة المدارس الابتدائية والمتوسطة (من عمر 6 إلى 12 سنة) وخلال هذه الفترة ، يتطور لدى الأطفال إما الإحساس بالإنتاجية أو بالنقص ويتعلم الأطفال من خلال جهودهم المثابرة أن المتعة تأتي من القيام بالعمل على أكمل وجه. من المهم للطفل أن يشعر الطفل بمتعة أن يكون عنصراً منتجًا وأن ينمي مشاعر النجاح. و تزداد أهمية علاقات الطفل مع أقرانه.

المرحلة الزمنية	المرحلة النفس – جنسية (فرويد)	المرحلة النفس- اجتماعية (إريكسون)	الحل المتوقع للأزمة (بالنسبة لإريكسون)
السنة الأولى (المهد)	الفمية	الثقة – عدم الثقة	ينمي الطفل اعتقادا بأن بيئة التفاعل التي تحتويه تلبي احتياجاته الأساسية
السنة الثانية	الشرجية	الاستقلال – الشعور بالخجل والشك	يتعلم الطفل ما يستطيع السيطرة عليه والتحكم فيه، وينمو لديه إحساس بحرية الإرادة، وإحساس بالحزن حالة الاستخدام الخاطئ لضبط الذات.
الطفولة المبكرة 6/5-3	الأديبية (القضيبية)	المبادرة – الشعور بالذنب	يتعلم الطفل المبادرة بالفعل، واستكشاف البيئة من حوله، والإحساس بالندم عند ارتكاب أفعال خاطئة.
الطفولة المتوسطة 10/9-6	الكمون	الكفاية – الشعور بالنقص	يتعلم الطفل فعل الأشياء بطريقة صحيحة مقارنة بآراء الآخرين.
المراهقة 18 – 10	المراهقة	الهوية – اضطراب الدور أو اضطراب الهوية	ينمو لديه إحساس بالذات في علاقته بالآخرين، وتتكون لديه أفكار ورغبات داخلية (يكون التأكيد على جانبين: إما غموض الهوية بالتمركز حول الجماعة التي يتوحد معها الشخص، أو الهوية الشخصية التي تتكون من خلال توحد الشخص مع قدراته، وأهدافه، وإمكاناته.
الشباب المبكر 24-18		المودة (الألفة) – العزلة	تتطور لدى الشخص القدرة على تلقي و إعطاء الحب وتتكون لدى الشخص التزامات وتكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين تتميز بالدوام والاستقرار.
أواسط العمر 50-24		الإنتاجية مقابل الركود	ينمو لدى الشخص اهتمام بتوجيه وقيادة نمو الجيل التالي (تنشئة الصغار وتربيتهم).
الرشد المتأخر 50		تكامل الذات – اليأس	ينمو لدى الشخص إحساس بتقبل الحياة على النحو الذي تم التعايش معها به والتأكد التام من أهمية الآخرين والعلاقات التي كونها الشخص خلال رحلة حياته السابقة.

نظرية البيئة الأسرية :

مساهمات يوري برونفنبرنر Urie Bronfenbrenner:

لا تنظر النظرية البيئية الخاصة بيوري برونفينبرينر إلى نمو الطفل بحد ذاته و إنما تأخذ البيئة التي ينمو فيها الأطفال بعين الاعتبار . أطلق يوري برونفنبرنر على نظريته اسم النظرية البيئية لأن علم البيئة يُعرف بأنه علم العلاقات بين الكائنات والبيئات التي يعيشون فيها.

قدم برونفنبرنر أربعة أنواع من أنواع المنظومات البيئية البيئات التي تؤثر على نمو الطفل.

يشير النوع الأول او ما يسمى **منظومة الميكرو** (MICROSYSTEM) إلى البيئة الأولية لسلوك الطفل ، وتعتبر علاقة الطفل مع أسرته وزملاء اللعب ، وترتيبات رعاية الطفل أمثلة هذه المنظومة المصغرة للطفل.

- و يشير النوع الثاني ، أو **المنظومة المتوسطة** (MESOSYSTEM) إلى الروابط بين السياقات المختلفة التي يمضي الطفل وقته فيها. فمثلا قد تشمل المنظومة المتوسطة للطفل في سن المدرسة في الولايات المتحدة الروابط بين المنزل والمدرسة والكنيسة والحي والأنشطة اللاصفية ، مثل البرامج الرياضية أو برامج ما بعد المدرسة.

النوع الثالث هو **المنظومة الكبيرة** (EXOSYSTEM) والتي تتحدث عن سياقات لا تتعلق بالطفل بشكل مباشر ولكنها تؤثر عليه بشكل غير مباشر. على سبيل المثال ، يتأثر الطفل بمكان عمل الوالدين على الرغم من أنه قد لا يذهب إلى هناك. ومن الأمثلة الأخرى على هذه المنظومة بنى المجتمع المحلي والخدمات ومجلس إدارة المدرسة وجميع أشكال وسائل الإعلام مثل التلفزيون والإنترنت.

أما النوع الرابع للمنظومات البيئية للطفل فهو **المنظومة الكلية**(MACROSYSTEM) والتي يشير إلى المجتمع الذي يعيش فيه الطفل كلل ويكون للقيم الاجتماعية والمعتقدات والعادات والمؤسسات تأثير هام على نمو الطفل (Bronfenbrenner، 1979).

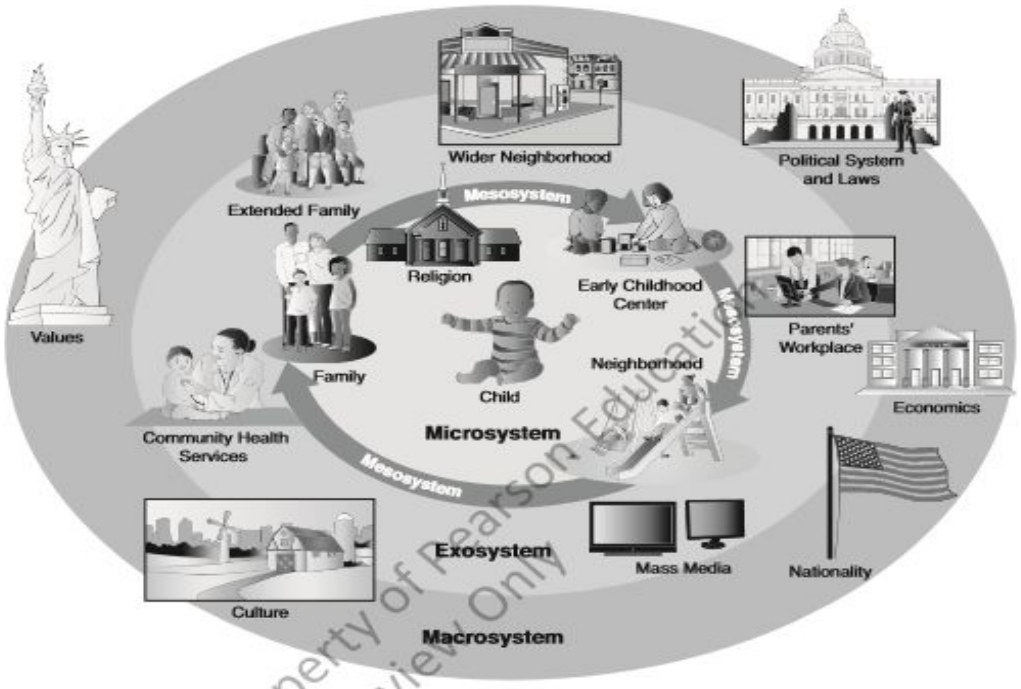

Figure 1.3
Bronfenbrenner's four environmental systems that affect the child's development

Property of Pearson Education
For Review Only

يوضح الشكل (1-3) أثر مستويات البيئة الأربعة على نمو الطفل.

التعلم النشط: نظريات التعلم البنائية

يقوم العديد من برامج تعليم الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة اليوم على التدريب العملي و على التعلم النشط أو على الأنشطة المرتكزة على الطفل ومن المهم بمكان أن نفهم مصدر هذه الأفكار ومعناها.

مساهمات جان بياجيه :

استمرت أبحاث الباحث الكبير بياجيه العلمية لأكثر من نصف قرن حول مراحل وخصائص العمليات الإدراكية عند الأطفال بثمن ، وكذلك تركيزه على أهمية التفاعل الدينامي بين الأطفال والبيئة المحيطة بهم حيث يقوم الأطفال **ببناء** معارفهم بأنفسهم وتأكيده على أهمية اللعب كوسيلة للتعلم.

والتعلم البنائي يرى أن المتعلم نشط وغير سلبي وان المعرفة لا يتم استقبالها من الخارج أو من أي شخص بل هي تأويل ومعالجة المتعلم لأحاسيسه أثناء تكون المعرفة، والمتعلم هو محور عملية التعلم بينما يلعب المعلم دور الميسر ومشرف على عملية التعلم، ويجب أن تتاح الفرصة للمتعلمين في بناء المعرفة عوضا عن استقبال المعرفة من خلال التدريس.

ولكن ذلك لم يروق للعلماء والمدرسين فهم لا يرغبون بتقييد انفسهم بنظرية بياجيه البنائية لأنهم يعتقدون أن بياجيه لم يعط العلاقات الاجتماعية والإبداع أو الصحة العاطفية حقها . والسبب في ذلك هو أنه اهتم بشكل رئيسي بدراسة عمليات تفكير الأطفال.

يرتبط نهج بانك ستريت **النمائي التفاعلي** وبرامج الهاي سكوب ارتباطاً وثيقًا بنظرية بياجيه البنائية في التعلم ولكنها كانت أكثر شمولية .(Bank Street, 1998 ; Epstein, 2003).

يرى هذا النهج الأطفال على أنهم كائنات بشرية متطورة تتحد فيها معرفة الأشياء (الذات الفكرية) مع إحساسهم بتلك الأشياء (الذات العاطفية). وبحسب هذه النظرية فإن دوافع النمو- في جزء منها - تنشأ داخل الفرد الناضج ولكن جزءاً منها أيضا يحدث نتيجة للتفاعل بين الطفل والبيئة والأشخاص الذين تربطهم علاقة بالطفل.

يعتبر هذا النوع من التفاعل مهماً جداً لأن الأطفال يشاركون بنشاط في عملية نموهم. يتعلم الأطفال من خلال بناء وإعادة بناء معارفهم أثناء مرورهم بعدد من التجارب ومقابلتهم للأشخاص الذين يوسعون ويثرون مداركهم. ويكون دور المعلم هنا التوجيه وطرح الأسئلة والتمكين - وليس مجرد حشو لأدمغة الطلاب الأطفال بالحقائق ومكافئتهم إذا أحسنوا التصرف.

مساهمات ليف فيجوتسكي:

قدَم العالم ليف فيجوتسكي(1978) في السنوات الأخيرة منظورا تعليميا آخرا ساهم بتقديم أفكاراً جديدة حول طريقة تعلم الأطفال الصغار ونموهم. ركز فيجوتسكي على أهمية تأثير الثقافة والتبادل الاجتماعي في النمو العقلي حيث يساعد الأشخاص البالغين والأقران الأكثر خبرة على نمو الأطفال من خلال نقل هذه القيم والمعلومات الاجتماعية لهم. يتم ذلك من خلال التفاعل مع الأطفال وتشجيعهم على العمل على الجزء النمائي لقدراتهم العقلية أي مجال "الأداء المساعَد" الذي يطلق عليه فيجوتسكي **منطقة النمو القريبة** (وغالبًا ما تختصر بالرمز ZPD).

ويرى فيجوتسكي أن اللعب الاجتماعي يعتبر النشاط الرئيس أو "النشاط القائد" الذي يمكّن الأطفال الصغار من العمل ضمن تلك المنطقة لأنه يتطلب استخدام الخيال واللغة الرمزية ومراقبة القواعد الاجتماعية التي تتطلب التنظيم الذاتي.

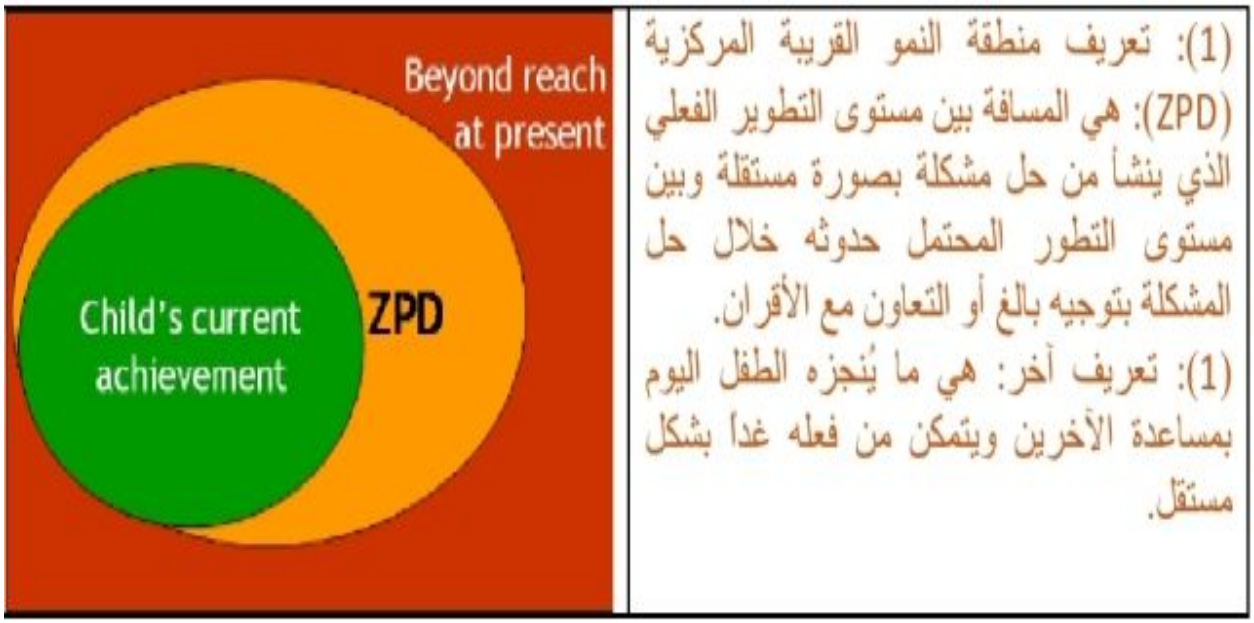

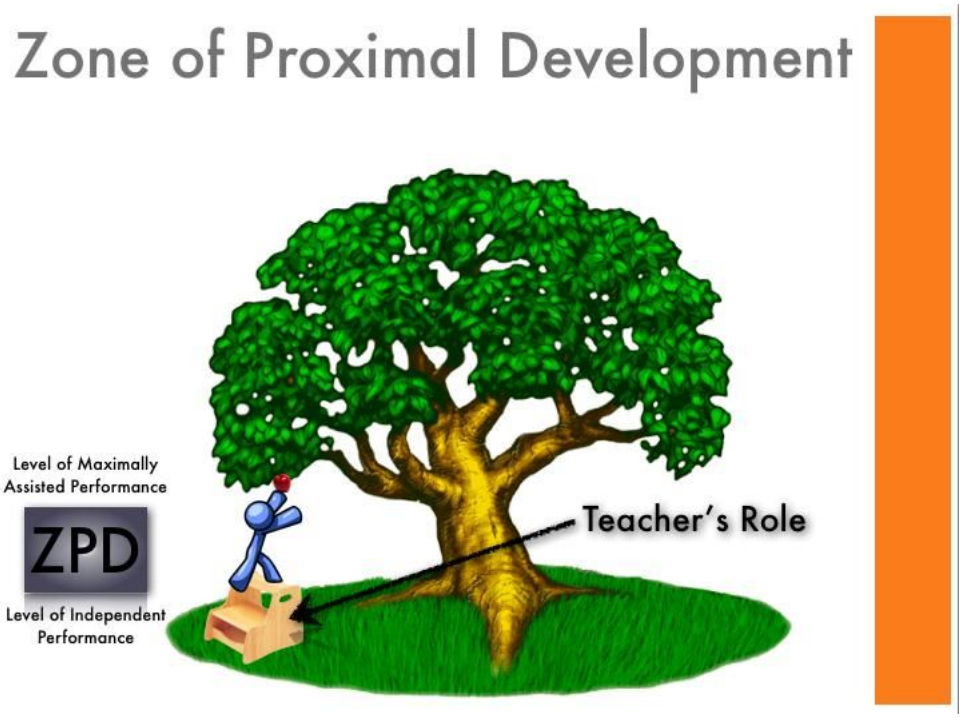

بالإضافة إلى اللعب ركز فيجوتسكي على تحديد دور المعلم في عملية التعلم حيث رأى أنه يجب على المعلمون استشعار المهارات التي على وشك الظهور في كل طفل والسعي لتطويرها. يجب تطوير عمله من خلال مساعدة الأطفال بشكل حساس من خلال ادراك ما لدى الطفل من معلومات سابقة كخطوة اولى ومن ثم استخدام الحوار والتجارب المختلفة لمساعدتهم على التقدم إلى نقطة أخرى في نموهم.

لقد أثبتت هذه التقنية في "دعم " عملية تعلم الطفل - أي دعم الطفل ومساعدته قبل انبثاق المعلومات والمهارات الجديدة – فعاليتها الكبيرة و خاصة عند استخدامها مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ومع الأطفال الطبيعيي النمو

نهج ريجيو إميليا:

وثق المعلمون في ريجيو إيميليا بإيطاليا تماما بمقدرات الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، فهم ينظرون إلى الأطفال باعتبارهم أقوياء ويتمتعون بالكفاءة و لديهم القدرة على بناء الأفكار ويتمتعون بإمكانات كبيرة يمكن أن يستفيد منها المجتمع. يصبح المعلم في هذا النهج كأنه البوصلة التي توجه الطفل في اتجاه معين ، ويُنظر إلى عملية التعليم على أنها عملية تتطور باستمرار لا يمكن تحديدها لأنها تظهر على مراحل.

كانت مراكز الأطفال - التي بلغ عددها (32) مركزاً متوزعة في مدينة ريجيو إميليا – تمثل أماكن يتفاعل فيها الأطفال والمعلمون من خلال تبادل وجهات النظر للبحث في الموضوعات المطروحة و تبادل الأفكار وتجربتها. يختار المعلمون جانبًا من جوانب اهتمامات الأطفال ويقوموا بتطويره ويعرض هذا الجانب مشكلة ما تتطلب من الأطفال التفكير بحلها (أو"تحفز"

الأطفال في التفكير بحسب وصف معلمي مدينة ريجيو إميليا). كما يمكن متابعة اهتمام معين على مدى عدة أشهر وهذا يتوقف على مدى اهتمام الأطفال بالموضوع.

يحول الأطفال النتائج التي تم التوصل إليها بشكل مشترك إلى نتائج ملموسة تنقل للآخرين ما تم التوصل إليه. وبما أن الأطفال الصغار لا يستطيعون الكتابة ، يقوم الموظفون بتشجيعهم على التعبير باستخدام جميع اللغات الأخرى ، أو ما يطلق عليه المعلمون في ريجيو ايميليا "لغات الأطفال العديدة " مثل التعبير بلغة الطلاء أو بلغة الصلصال أو باستخدام البنى المصنوعة من الورق المقوى أو تلفيقات من الأسلاك المثنية المحشوة بورق المناديل أو من خلال لغة اللعب بالظلال.

وكان التعليم الأمريكي في مرحلة الطفولة المبكرة الأمريكية قد اتبع مسبقاً العديد من الأفكار الأساسية لفلسفة ريجيو ايميليا . في الواقع نلاحظ أنه نهج ريجيو ايميليا و نهج ديوي في التعليم التدريجي كانا متشابهين في عدة جوانب مثل تركيز كلا النهجين على :مشاركة الوالدين و تعزيز الإبداع و التعلم بالممارسة و التعلم القائم على الاستقصاء و المرتكز على الأطفال والتعلم التعاوني من خلال التدريب العملي(D.L.Black,2000;Elkind,2012;Mooney,2000) . كذلك فقد أدهشتنا الدلائل التي تم التوصل إليها حول تمتع الأطفال الإيطاليون الصغار بقدرات استثنائية ، لا سيما لأن المراقبين يقولون إن الأطفال هم الذين يقومون بالعمل وينجزونه دون التعرض للإجهاد في بيئة صحية و مسلية .

النظرية السلوكية أو نظرية التعلم :

على الرغم من أن نظريات النمو تشكل الأساس النظري لهذا الكتاب ، إلا أنه توجد نظرية أخرى تستحق منا الاهتمام. قد لا يروق مصطلح" تعديل السلوك" للعديد من المعلمين الذين يعترضون على احتمالية التعاطي الكامنة في هذا النهج. ومع ذلك فإنه ينبغي عليهم إدراك قيمته الإيجابية أيضًا. وقد أجرى منظري عملية التعلم - الذين يطبقون نظرية تعديل السلوك - قدرًا كبيرًا من الأبحاث الموثقة لدعم ادعاءاتهم بأن هذا النهج - الذي يقوم على مبدأ مكافئة السلوك الجيد و معاقبة السلوك السيئ - يمكن أن يكون وسيلة فعالة في التعليم (Carpenter & Nangle, 2001 ; R. M. Thomas, 1999 ; Van Duijvenvoorde et al., 2008). وقد اثبتت نظرية تعديل السلوك فائدتها خاصة عند العمل مع الأطفال الذين يعانون من مجموعة متنوعة من الإعاقات (McLean, Wolery, & Bailey, 2004)..

يؤكد منظرو تعديل السلوك أن الأطفال يتعلمون من خلال تلقيهم للمكافآت (مثل إهتمام المعلم بهم أو مدحهم من قبله) أو من خلال تعرضهم للعقوبات (مثل التوبيخ أو الجلوس على "كرسي المهلة" المخيف وهذه الطريقة قد يحسن المعلمون استخدامها وقد يسيئون استخدامها حيث أنها تشبه إلى حد ما وضع قبعة الأغبياء على رأس الطفل!). نحن نعلم أن هذا البرنامج القائم فقط على التلاعب المتعمد بسلوك الأطفال هو برنامج بغيض و لكننا نعلم أيضاً **أن جميع المعلمين يستخدمون هذه التقنية بشكل مستمر وشامل سواء أدركوا ذلك أم لا**. و تلعب أية ابتسامة و أية عبوس أو أية اهتمام من المعلم سواء كان ايجابياً أو سلبياً يتلقاه الطفل دورا كبيرا في تشجيع أو إحباط سلوكياته المستقبلية. لذلك وبدلاً من أن نقوم برفض وإدانة هذه النظرية بشكل أعمى ، لم لا نتذكر كم مرة قمنا فيها باستخدام هذه الاستراتيجيات بشكل غير رسمي واعترفنا بقوة تأثيرها على عملية تعلم الأطفال ؟

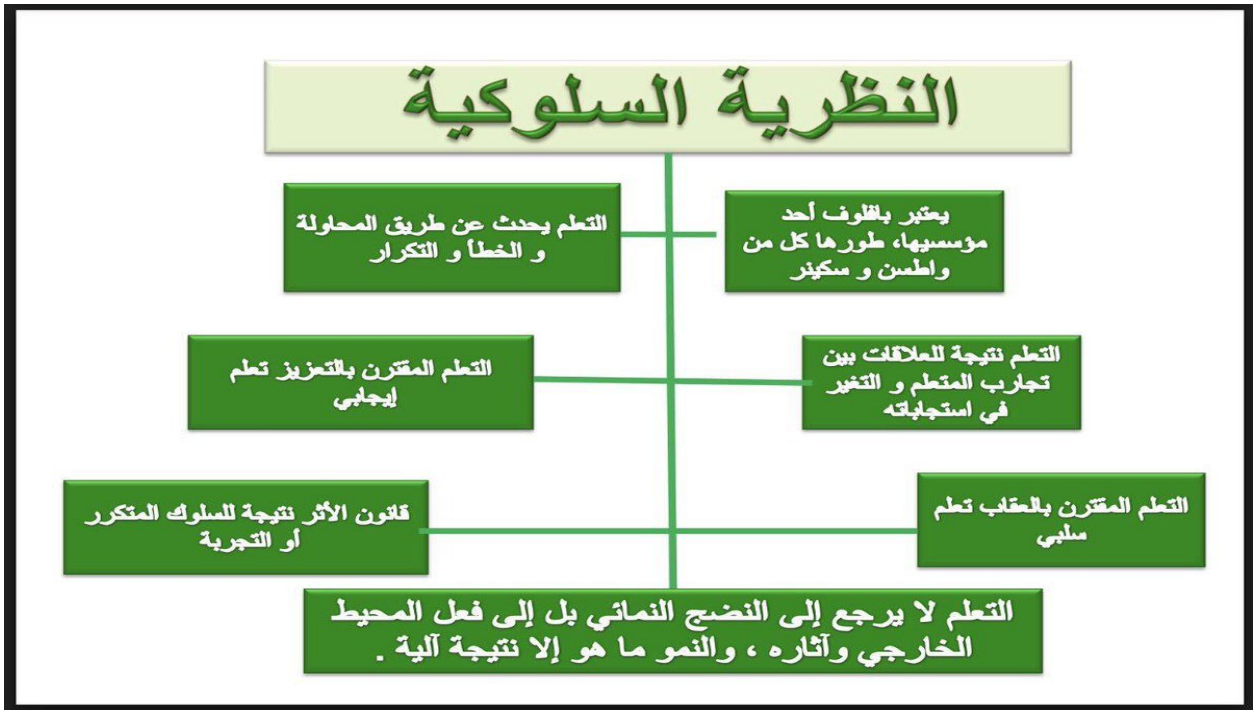

المراجع:

Weissman P., Hendrick J. (2014). *The Whole Child: Developmental Education for the Early Years*, 10th Edition. US: Pearson.